

فاطمة الزهراء (ع) .. الراضية المرضية



إن حلقة الوصل بين الرسالة والإماماة هي فاطمة بنت محمد (ص)، أم الأئمّة المعصومين (ع) وسيّدة نساء العالمين. أمها الطاهرة سيدة نساء قريش، خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزّى بن قصي. وهي أول إمرأة تَنْزُوَّجَها رسول الله (ص)، وكانت من أهل بيت علم وشرف، وكفاحاً عظمة أنّها ولدت مثل فاطمة الزهراء (ع)، الصدّيقه الطاهرة المعصومة. ولدت سنة خمس من المبعث بمكة في العشرين من جمادى الآخرة، وأن النبي (ص) قبض ولها ثمانى عشرة سنة وبسبعين شهر. كما روّي عن الإمام جعفر الصادق (ع) أنّه قال: لفاطمة (ع) تسعة أسماء عند الله عزّوجلّ: فاطمة، الصدّيقه، المباركة، الطاهرة، الزكية، الراضية، المرضية، المحمدّة والزهراء". وعن الإمام الرضا (ع): أن النبي (ص) قال: إنما سَمِّيَت ابنتي فاطمة، لأن الله سبحانه فطمها وفطم مَنْ أَحْبَّهَا من النار". وسمّاها النبي (ص) البتول أيضاً، وقال لعائشة: يا حميراء، إن فاطمة ليست كنساء الآدميين، ولا تعتل كما تعتلون". وكانت يصبّ عليها من ماء الجنّة، وذلك لأنّ رسول الله (ص) لما أُسرى به دخل الجنّة، وأكل من فاكهتها وشرب من مائها، فنزل من ليلته، فوقع على خديجة فحملت بفاطمة، فكان حمل فاطمة من ماء الجنّة. ولدت فاطمة من أكرم أبوين عرفهما التاريخ البشري، إذ لم يكن لأحد في تاريخ الإنسانية ما لأبيها من الآثار، التي غيرت وجه التاريخ، ودفعت بالإنسان أشواطاً بعيدة نحو الأمام في بعض سنوات

معدودات، كما لم يحدّث التاريخ عن أُمّها، كأمّها، التي وهبت كلّ ما لديها لزوجها، ولمبدئه العظيم مقابل ما أعطاها من هداية ونور. وفي ظل هذين الأبوين العظيمين، درجت فاطمة البتوّل (ع) ونشأت في دار يغمرها حنان أبيها الذي حمل عبء النبوة وتحمّل ما تنوء به الجبال. لقد عاشت الزهراء (ع) محن تبليغ الرسالة الإلهية منذ نعومة أطفالها، وحورقت مع أبيها وأُمّها وسائر بنى هاشم في الشّعب المعروف، ولم تبلغ في بدء الحصار من العمر سوى سنتين. وما أن رُفع الحصار بعد سنوات ثلاث صعبة حتى واجهت محنّة وفاة أبي طالب، وهي في بداية عامها السادس، فبقيت هي سلوة لأبيها - وهو يواجه الصعوبات والشدائد - تؤنسه في وحده، وتؤازره على طعاة قريش وعتا لهم. هاجرت هي والفواطم مع ابن عمّها عليّ (ع) إلى يثرب في الثامنة من عمرها، وبقيت مع أبيها الرسول الأعظم (ص) حتى اقترنت بالإمام عليّ بن أبي طالب (ع)، فكُوِّنت أشرف بيت في الإسلام، إذ أصبحت الوعاء الطاهر للسلالة النبوية الطيبة، والكوثر المعطاء لعترة رسول الله (ص) الميمانين. لقد قدّمت الزهراء (ع) أروع مثل للزوجة وللأمومة في أرجح لحظات التاريخ الإسلامي، حيث كان الإسلام يريد أن يختلط طريق الخلود والخلعلى في ظل بيئة جاهلية وأعراف قَبْلية ترفض إنسانية المرأة، وتعدّ الفتاة عاراً. لذا كان على مثل الزهراء (ع) - وهي بنت الرسالة ووليدة النهضة الإلهية الفريدة - أن تصبر بسلوكها الفردي والزوجي والاجتماعي مثلاً حقيقياً وعملياً، يُحسب مفاهيم الرسالة وقيمها تجسيداً واقعياً.

وقد أثبتت الزهراء (ع) للعالم الإنساني أجمع أُمّها الإنسان الكامل، الذي استطاع أن يكون آية إلهية كبرى على قدرة الله البالغة وإبداعه العجيب، إذ كانت تتمدّع بأوفر حظ من العظمة والكرامة، وأوفى نصيب من الجلال والبهاء. وأنجحت الزهراء البتوّل لعليّ المرتضى (ع) ولدين عظيمين، هما سيد شباب أهل الجنّة وأبا رسول الله (ص): (الحسن والحسين) الإمامان الطاهران، كما أنجحت السيدتين الكريمتين: (زينب الكبرى وأُم كلثوم) المجاهدتين الصابرتين. توفّيت (ع) في الثالث من جمادى الآخرة سنة إحدى عشرة من الهجرة وبقيت بعد النبي (ص) خمسة وتسعين يوماً. وروي أربعة أشهر. كما روی أربعون يوماً. وروي أيضاً خمسة وسبعون يوماً. كما روی ستة أو ثمانية أشهر.